ولا عيب فيهم البيت والمراد نفي أن يكون لهم مانع من الإيمان والاستغفار بعد مجيء الرسول صلى ا عليه وسلّم يصلح أن يكون حجة لهم أصلا كأنه قيل لا مانع لهم من أن يؤمنوا أو يستغفروا ربهم ولا حجة بعد مجيء الرسول الذي بلغ ما بلغ من الهدى إلا طلب ما أوعدوا به من إتيان الهلاك الدنيوي أو العذاب الأخروي وحيث أن ذلك على فرض تحققه منهم لا يصلح للمانعية والحجية لم يبق مانع وحجة عندهم أصلا انتهى .

ولا يخفى أنه بعد الإغضاء عما يرد عليه بعيد وإنكار ذلك مكابرة والأولى تقدير التقدير وهو مانع بلا شبهة إلا أن القائلين بالاستعداد حسبما تعلم يجعلون منشأه الاستعداد وفي معناه تقدير الإرادة أي إرادته تعالى وعليه اقتصر العز بن عبد السلام ودفع التنافي بين الحصر المستفاد من هذه الآية والحصر المستفاد من قوله تعالى وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث ا بشرا رسولا بأن الحصر الأول في المانع الحقيقي فإن إرادة ا تعالى هي المانعة على الحقيقة والثاني في المانع العادي وهو استغراب بعث بشر رسول لأن المعنى وما منع الناس أن يؤمنوا إلا استغراب ذلك وقد تقدم في الإسراء ما ينفعك في الجمع بين الحصرين فتذكر فما في العهد من قدم وادعى الإمام تعدد الموانع وأن المراد من الآية فقدان نوع منها فقال قال الأصحاب إن العلم بعدم إيمانهم مضاد لوجود إيمانهم فإذا كان ذلك العلم قائما كان المانع قائما وأيضا حصول الداعي إلى الكفر قائم وإلا لما حصل لأن حصول الفعل الإختياري بدون الداعي محال ووجود الداعي إلى الكفر مانع من حصول الإيمان فلا بد أن يقال المراد فقدان الموانع المحسوسة انتهى فليتأمل فيه .

والقبل بضمتين جمع قبيل وهو النوع أي أو يأتيهم العذاب أنواعا وألوانا أو هو بمعنى قبلا بكسر القاف وفتح الباء كما قرأ به غير واحد أي عيانا فإن أبا عبيدة حكاهما معا بهذا المعنى وأصله بمعنى المقابلة فإذا دل على المعاينة ونصبه على الحال فإن كان حالا من الضمير المفعول فمعناه معاينين بكسر الياء أو بفتحها أو معاينين للناس ليفتضحوا وأن كان من العذاب فمعناه معاينا لهم أو للناس وقرأت طائفة قبلا بكسر القاف وسكون الباء وهو كما في البحر تخفيف قبل على لغة تميم وذكر ابن قتيبة والزمخشري أنه قريء قبلا بفتحتين أي مستقبلا وقرأ أبي بن كعب وابن غزوان عن طلحة قبيلا بقاف مفتوحة وباء مكسورة بعدها ياء ساكنة أي عيانا ومقابلة وما نرسل المرسلين إلى الأمم متلبسين بحال من الأحوال إلا حال كونهم مبشرين للمؤمنين بالثواب ومنذرين للكفرة والعصاة بالعقاب ولم نرسلهم ليقترح عليهم الآيات بعد ظهور المعجزات ويعاملوا بما لا يليق بشأنهم ويجادل الذين كفروا بالباطل

باقتراح ذلك والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعنتا وقولهم لهم ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء ا لأنزل ملائكة إلى غير ذلك وتقييد الجدال بالباطل لبيان المذموم منه فإنه كما مر غير بعيد عام لغة لا خاص بالباطل ليحمل ما ذكر على التجريد والمراد به هنا معناه اللغوي وما يطلق عليه اصطلاحا مما يصدق عليه ذلك ليدحضوا أي ليزيلوا ويبطلوا به أي الجدال الحق الذي جاءت به الرسل عليهم السلام وأصل الادحاض الازلاق والدحض الطين الذي يزلق فيه قال الشاعر :